

الفصل السابع

أهمية المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي وضرورة تحقيقه

الدلالات الموضوعية للمدخل الاجتماعي في التاريخ والتراث العربي

ربما يكون مجمل اهتمامنا في كل الصفحات والفصول السابقة من هذا البحث قد تركز حول ضرورة إعادة النظر وتصحيح بعض القضايا والمسائل الأساسية المشوهة في التاريخ والتراث العربي من جهة ، والكشف عن المغمور والمنسى من جهة أخرى ، في ضوء رؤية إجماعية ومنهجية علمية حديثة ومعاصرة ، خصوصاً ما يتعلق منها بذلك الطراز الذي منى بأشد أنواع التحريف والتشويه والإبادة والتنكيل بكل من قال بها في الماضي أو يقول بها في الحاضر ، تحت دوافع سياسية واقتصادية وطبقية مختلفة ، وذلك هو بعض ما استهدفناه - جوهرياً - كواحد من الأهداف الرئيسية التي استهدفناها من هذا البحث منذ أول خطوة .

ويبقى علينا في هذا الفصل الختامي أن نركز على الجوانب المنهجية بصفة خاصة ، بالنسبة لمجمل الأحداث والمسائل التي يحفل بها التاريخ والتراث العربي بصفة عامة بما في ذلك أعمال المؤرخين والأدباء والمشرعين وكتاب السير والتراجم وغيرهم ، وذلك حتى نتمكن من اختزال الرؤية والمدخل الاجتماعي في هذه المأثورات الواسعة النطاق من جهة ، والكشف عن تناقضاتها الفكرية والموضوعية المخلة من جهة أخرى ، والتي تورطت أو تورط أصحابها فيها نتيجة الانتماء إلى وجود المدخل الاجتماعي والرؤية المنهجية العلمية الصحيحة ، وكيف صارت نتيجة لذلك مرتعاً للزيف والخلط اللامعقول الذي لا يميز بين الواقعة الحقيقية والأسطورة الخيالية ، والميل إلى الاستسلام للخيال الميتافيزيقي والافتراضات الشخصية أكثر من الاحتكام للواقع

وقوانين تطوره وذلك على نحو ما سنرى من خلال الدلالات الموضوعية والمنهجية الآتية :

أولاً : الدلالات النظرية

سوف لن نجد مشقة كبيرة في البحث عن الدلالات الفكرية والنظرية للرؤية والمدخل الاجتماعي في التاريخ والتراث العربي ، لأننا قد استوفينا هذه النقطة بتفصيل وتحليل مركز في الفصول السابقة وشكل ذلك كما سبقت الإشارة واحداً من الأهداف الرئيسية لهذا البحث ابتداء بالكشف عن كل المؤشرات العقلية في المجتمع المبني القديم ، مروراً بالتناقضات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المجتمع المكي القديم قبل وبعد الدعوة الإسلامية مباشرة ، وصولاً إلى تحليل مختلف الاتجاهات الراديكالية الثورية والعقلية من معتزلة ، وخوارج ، وقرامطة وشيعة ، وغيرهم ، من ذوى الاتجاهات الشعبية والراديكالية العقلانية ، والذين قضى على معظم تراثهم وفكرهم الإنساني الناضج ووصموا بكل المذمات كما سبق وأن حللنا تفصيلاً في الفصول السابقة .

ثانياً : الدلالات الموضوعية المباشرة

أما الشكل الثاني الأقرب إلى الواقعية والأكثر بروزاً ووضوحاً للمادة الاجتماعية الأنثروبولوجية المدونة في التراث الشعبي العربي ، بل وما يمكن اعتباره دراسات أنثروبولوجية مباشرة وقائمة بذاتها ، فهو ما يتمثل في الأعمال الجليلة التي قام بها مجموعة العلماء العرب ممن عرفوا باسم الرحالة أو الجغرافيين أو أدباء الرحلات ، والذين كتب لمعظم أعمالهم الذبوع والانتشار في زمانهم ، والتشجيع والبقاء بعد زمانهم ، وما يزال معظمها بين أيدينا أشبه بمعين لا ينضب من المعارف الاجتماعية والإنسانية المختلفة ، ولقد كانت هذه الأعمال ولا تزال موضع تنازع وخلاف بين المؤرخين والأدباء والجغرافيين وغيرهم ، كل يفيد منها في مجاله ويطالب بحق انتمائها إليه ، دون أن يقوى أى طرف على حسم الأمر علمياً لصالحه ، لأنها حقيقة

من طبيعة اجتماعية قبل أى شىء آخر ، وقد حان الوقت للإجتماعيين والأثروبولوجيين العرب المحدثين أن يؤدوا مسئوليتهم تجاه هذه الأعمال وبحققوا الهوية الاجتماعية الغالبة لهذا الجانب من التراث العربى الذى ظل زمناً طويلاً أشبه ما يكون بالأرض المشاع والبيت الذى هجره أهله فتعددت مطالب الآخرين ودعائهم من بعدهم فى ملكية الأرض والبيت فى غياب أهله إلى جانب استخدام كل منافعه (١) .

صحيح أن هذه الأعمال قد جاءت أشبه ماتكون بالموسوعات الضخمة التى حوت من المعلومات والمعارف الأدبية والتاريخية والسياسية والدينية والجغرافية وغيرها ، والتى جمعوها ووصفوها من خلالها وبها أحوال المجتمعات والشعوب التى طافوا بها ودخلوا إليها لنفس الغرض وتعلموا لغاتها وأقاموا بين أهلها سنين طويلة ، فى بلاد الهند مثلاً والصين وأفريقيا وجنوب أوروبا وكل أقاليم الدولة الإسلامية تقريباً ، ولقد سبق لنا الحديث والتقييم المنهجى لهذه الأعمال وماتعانيه من حالتى التشتت والتمزق بين مختلف الاتجاهات والعلوم الأخرى التى سادت وقتها وتسود حتى اليوم بتفاصيل وافيه فى بحث خاص عن التراث الشعبى وعلاقته بالتنمية (٢) .

ومن هؤلاء الرواد الذين برزوا فى هذا المجال ونكتفى بذكر أسمائهم ونحات بسيطة عن أعمالهم أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الطنجى المعروف «بأبن بطوطة» المتوفى عام ١٣٧٧ ، ميلادية والذى قام بأسفار دامت أكثر من ثلاثين عاماً ، زار فيها كل أجزاء الوطن العربى وبلاد الهند والصين وجنوب شرق آسيا ، وطوف بأفغانستان وبلاد العجم وهضبة الأناضول : كما زار السودان وبلاد الحبشة وبلدان شرق أفريقيا ، وطاف فى رحلة أخرى ببلاد الأندلس وطنجة وجبل طارق ، ورجع إلى بلده « فاس » ببلاد المغرب حيث دون خلاصة دراساته وتجاربه فى كتابه المشهور تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب

(١) . أحمد الخشاب : التفكير الاجتماعى ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٢) راجع تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع فى كتابنا : التراث الشعبى وعلاقته بالتنمية فى البلاد النامية ، دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمنى ، مركز الدراسات اليمنية ١٩٨٠ ، الفصل الأول بصفة عامة وبالذات ص ٣٢ - ٣٨ .

الأسفار عام ١٣٥٦م ، والذي اشتهر برحلة ابن بطوطة^(١). ومنهم أيضاً العلامة ابن فضلان الذي أرسله الخليفة المقتدر من بغداد عام ٩١٢م ، ٥٣٤٦هـ إلى ملك الصقالبة حيث وصف الأسلاف الوثنيين لسكان شمال غرب أوروبا «الغاليين» وأبو القاسم عبدالله بن خرداذبه صاحب كتاب «المسالك والممالك» الذي ألفه حوالي ٨٤٦م وأحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي «صاحب كتاب» «البلدان» الذي وصف فيه بلاد الهند ومصر وأرمينية ، والذي ألفه عام ٨٩١م. والأنثروبولوجي والجغرافي الكبير أبو الحسن علي بن المسعودي الذي طاف ببلاد كثيرة ووضع دراسات مازال لها أصالتها ويعتبر كما يقول الدكتور مصطفى الخشاب من أدق علماء الأنثروبولوجيا العرب ، وهو صاحب كتاب «مروج الذهب ومعاون الجوهر» ألفه حوالي ٩٥٠م^(٢). وأبو القاسم محمد بن حوقل المتوفى عام ٩٩٠م والذي تعتبر أعماله مرجعاً في دراسة أحوال دولة القرامطة الاجتماعية ونظمها الاشتراكية في البحرين واليمن وشمال أفريقيا ، وياقوت الحموي المتوفى عام ١٢٢٩م صاحب كتاب «معجم البلدان» والشريف الإدريسي من بلاد المغرب وهو من علماء الخرائط ، وصاحب كتاب «نزهة المشتاق في إختراق الآفاق» ألفه عام ١١٥٣م وقد إشتغل بنقل علوم العرب إلى الأوربيين^(٣).

ثالثاً : الدلالات الموضوعية غير المباشرة

أما الدلالات الموضوعية غير المباشرة للجوانب الاجتماعية في التاريخ والتراث العربي فإنه يمكن ملاحظتها واختزلها بسهولة من خلال أعمال العلماء العرب ومصنفاتهم الموسوعية ، والذين طغى على جهودهم وأعمالهم الطابع التاريخي الروائي والاهتمام الأدبي والديني ، وكتاب السير والتراجم والأقاصيص والفهارس ، الذين شكلوا محاور وأقطاب قوية لا تجارى في عالمنا العربي حتى

(١) علم الفولكلور محمد الجوهرى ، مرجع سابق ، ٤٦٧

(٢) د. مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه ج ١ دار المعارف ، ص ١٣ وانظر

كتاب التفكير الاجتماعى ، مرجع سابق : ص ٢١١ .

(٣) مجلة المعارف اللبنانية عدد كانون ثنى ١٩٦٢ م ، د . علي سعد ، مقال بعنوان

ابن طفيل في ميزان العلم .

اليوم ، كل في مجاله ، أمثاله المسعودى وابن قتيبة والجوزى ، وكذلك الجاحظ وابن طفيل في رسالته الشهيرة «حى بن يقضان» .

ففيما يتعلق بالاتجاهات التاريخية الروائية نجد ابن قتيبة والجوزى ، أما التحليلية الفكرية فنجد الجاحظ وابن طفيل ، الذى علق الدكتور على سعد على رسالته «حى بن يقضان» بقوله : «إن ابن طفيل يعتقد بأولية المادة واستحالة فناءها أو انعدامها وكل ما يصيبها هو التحول والتبدل» (١) . ويلقى الدكتور أحمد الخشاب على هذا الرأى بالقول بأنه شبه حرقى عن قانون بقاء المادة الذى يعتبر أحد الأسس للعلوم الطبيعية الحديثة والذى عبر عنه العالم الفرنسى «لفوازييه» بقوله الشهير : «لاشئ في الطبيعة يفنى ولاشئ يخلق من العدم» (٢) .

يضاف إلى ذلك المذخورات الضخمة من التراث الأدبى والشعرى والقصى عن حياة ما قبل الاسلام وبعده ، والى تسجيل معظم جوانب الحياة الاجتماعية بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، وكذلك تشريعات الأئمة الأربعة الكبار مالك بن أنس ، وابن حنبل ، وأبى حنيفة ، والشافعى ، بكل ما عملوه وخلفوه من تراث وأعمال خالدة ما تزال فى مجموعها وما انتبثق عنها ، أسس لا تجارى وقم لا تظال حتى الآن ، فيما يتعلق بالجمال الدينى وغيره ، الأمر الذى يؤكد الدكتور محمد الجوهري بقوله : «والحقيقة أن حضارتنا العربية الأصيلة تنفرد بميزة فريدة هى ثراؤها فى المدونات ، ثراء يفوق أى حضارة إنسانية أخرى ، ولذلك يمكن أن نقول (الكلام ما يزال للدكتور الجوهري) دون أى مبالغة أن المدونات كمصدر للمادة الفولكلورية العربية تمثل مصدرا ثريا ورئيسيا يفوق الوضع المعروف فى أى حضارة أخرى» (٣) . وما من شك أن ما ينطبق على مجال الفولكلور بالنسبة لإفادته من هذه المدونات — كما يذكر الدكتور الجوهري — ينسحب من باب أولى على

(١) مجلة المعارف اللبنانية عدد كانون ثانى ١٩٦٢ م د . على سعد مقال بعنوان ابن طفيل فى ميزان العلم .

(٢) د . أحمد الخشاب التفكير الاجتماعى (مرجع سابق) ، ص ٢٦٨ .

(٣) د . محمد الجوهري : علم الفولكلور ، دراسة فى الأنثروبولوجيا الثقافية الطبيعة الثانية ١٩٧٧ ، دار المعارف بمصر ، ص ٤٢٤ .

الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية بعامة فى الامكانية الغير محدودة للاستفادة من هذه المدونات وتجميع وتحليل المادة الاجتماعية فيها .

ولقد وضع الدكتور محمد الجوهري فى كتابه القيم « علم الفولكلور » دراسة فى الأنثروبولوجيا الثقافية ، تصنيفاً جيداً لهذه المصنفات مشيراً إلى إبرازها بالتحليل والشرح ، والتي نوجزها على النحو التالى .

١ — الأعمال البيبلوقرافية فيه : وأشهرها كتاب الفهرست لابن النديم ، كما يعد كتاب « كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون » لحاجى خليفة من أبرز الأعمال البيبلوقرافية العربية .

٢ — المؤلفات الموسوعية : ومن أشهرها كتاب النويرى (١٢٧٨ — ١٣٣٣ م) « نهاية الأرب فى فنون الأدب » « وصبح الأعشى فى صناعة الانشا » للقلقشندى (١٣٥٥ — ١٤١٨ م) ومروج الذهب للمسعودى المتوفى عام ٣٤٦ هجرية .

٣ — المؤلفات ذات الصبغة الدينية : منها كتاب « إحياء علوم الدين » للغزالي وغيره ، ومن المؤلفات الدينية الأكثر قرباً من التراث الشعبى والاجتماعى مؤلف « ابن العطار » رسالة فى أحكام الموتى وغسلهم وتكفينهم ودفنهم الخ والمتوفى عام ٧٢٤ هجرية ١٣٢٤ م . ومؤلف ابن الحاج « المدخل إلى الشرع الشريف » والمتوفى بالقاهرة ٧٣٧ هـ ١٣٣٦ م .

٤ — الكتب التاريخية : وهى تنقسم إلى « حوليات المؤرخين » وكتب « التراجم والطبقات » وأبرزها كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأخبار » للمقرئى وابن اياس فى كتاب « تاريخ مصر المشهور ببدايع الزهور فى وقائع الدهور » والمتوفى عام ٨٥٢ هـ ١٤٤٨ م . ثم كتاب الجبرتي « الآثار فى التراجم والأخبار » .

٥ — المؤلفات الجغرافية : ومن أبرزها كتاب « البلدان » لليعقوبى المتوفى ٢٨٤ هـ ٨٩٧ م .

٦ - الكتب الأدبية والأعمال الشعبية : ومنها كتاب « الأغاني لابن الفرج الأصفهاني » ، وكتاب « المخصص » لابن سيده « وعيون الاخبار » « لابن قتيبة » .

٧ - الكتب المتصلة بالعلوم الطبيعية العربية مثل كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية « لابن البيطار » وكتاب « الحيوان » للجاحظ .

٨ - كتب الرحلات : وأهمها كتاب ابن بطوطة « تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » والمشهور برحلة ابن بطوطة .

٩ - الكتب الإجتماعية والفكرية : مثل كتاب ابن الشحنة « لسان الحكماء في معرفة الأحكام » ورفاعة الطهطاوى « المرشد الأمين للبنات والبنين » وقاسم أمين « تحرير المرأة » (١) .

ويضاف إلى ما ذكره الدكتور الجوهري في تصنيفه الكثير والكثير من المذخورات والمدونات التي لا تقل أهمية عما ذكر ، والتي يمكن إلحاقها ضمن التصنيف السابق الذى وضعه الدكتور الجوهري ، من ذلك الأعمال الفكرية الناضجة للمعتزلة والخوارج والقرامطة وغيرهم من الفرق الإسلامية المختلفة ذات الطابع العقلى والأكثر التصاقا وقربا من الرؤية الإجتماعية قديماً وحديثاً والتي قضى على معظم تراثها ، والتي سبق وأن أبنا الكثير عنها بحملة وتفصيلا في الفصلين السابقين .

الدلالات المنهجية وأهمية تحقيقها

والشئ الذى نريد أن نؤكد ههنا والدافع إلى تناول هذه الأعمال هو أن غياب المدخل الاجتماعى واستقلاله فى البحث والتفكير من ناحية ، وتداخل

(١) أنظر فى ذلك الفصل الخامس من كتاب علم الفولكلور ، دراسة فى الانثروبولوجيا الثقافية للدكتور محمد الجوهوى ، حيث خصص هذا الفصل لشرح وتحليل هذه المصنفات ، دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٧٧ ، ص ٤٢٤ - ٤٧٤ .

الجهود والاهتمامات بحكم طبيعة المرحلة التاريخية من ناحية أخرى ، قد جعل جانباً لا بأس به من المجال الاجتماعي يشكل موضوعاً ومادة لأعمال واهتمامات هؤلاء الرواد وغيرهم ، كل يتناوله ويأخذ منه ما يتناسب ومجال اختصاصاته أو ما يعتقد أنه جزء من مجال اختصاصه ومن صلب مهمته ، رغم أن الأمر قد لا يكون كذلك لو وجد مثل هذا المدخل منذ وقت مبكر وحتى الآن . فالمسعودي مثلاً الذي اشتهر باعتباره راوية تاريخية بارزة تتضمن أعماله من القضايا والتحليلات مالا يمت إلى علم التاريخ والجغرافيا - اللذان عرف بهما قبل أى شيء آخر بمفهومهما الحديث وحتى الكلاسيكى - بأى صلة والمتبع لتلك القضايا والتحليلات والمعلومات الوفيرة والدقيقة في الوصف ذات الطابع الخيالى والاسطورى والخرافى من جهة وما يتصل بعادات الناس ومعتقداتهم وتقاليدهم ووصف البيئات والسلالات . الخ ، إلى درجة أن الدكتور مصطفى الخشاب يصفه بأنه من أدق علماء الاثر وبوارجيا العرب^(١). فلقد كان يدون تلك المعلومات من خلال سماعه ومشاهداته ويعتبرها حقائقاً تاريخية بدلاً من كونها ظواهر اجتماعية بالدرجة الأولى، ومن ذلك مثلاً ما رواه عن الاسكندر المقدونى عندما قيل بأن دواب البحر صدته عن بناء الاسكندرية ، وكيف اتخذ صندوقاً من الزجاج وغاص فيه إلى قعر البحر حتى صور تلك الدواب « الشيطانية » التى رآها وعمل لها تماثيل من أجساد معدنية ولصقها بجدار البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وشاهدتها وتم بناء الاسكندرية^(٢) . وما رواه أيضاً عن قصة مدينة « إرم » ذات العماد فى صحارى عدن ومدينة النحاس وغير ذلك من الأخبار التى أنكرها عليه ابن خلدون وفندها تفنيداً ، وأكد بأن مثل هذه الروايات أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق التاريخية ، حيث وصفها ابن خلدون بالكذب^(٣).

(١) د . مصطفى الخشاب علم الاجتماع مدارسه ج ١ ص ١٣٠ دار المعارف ١٩٦٦ .
(٢) د . حسن الساعى : علم الاجتماع الخلدونى ، ص ١١٥ ، دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٥ . وانظر فى ذلك أيضاً مقدمة ابن خلدون طبعة دار الشعب الحديثة ، ص ٣٦ .
(٣) المرجع السابق ص ١٠٨ .

فمثل هذا المنهج الذى اتبعه المسعودى ، وغيره من المؤرخين والذى جرهم إلى الخلط وعدم التمييز بين حقائق التاريخ وأحداثه الواقعية التى دونوها من جهة ، وحقائق المجتمع من جهة أخرى وعدم القدرة على التمييز بينهما ، كان ينتهى بهم فى كثير من الأحيان إلى نتائج متناقضة بطبيعة الحال ، أو وجود حلقات مفرغة فى تسلسل أحداثهم ، كانوا يضطرون معها إلى ارتكاب أخطاء أخرى ، هى القيام بعملية افتراضات وتخيلات ذاتية من أجل الوصول إلى حقائق تاريخية منسقة بطريقة فجأة ، ولقد كانت مثل هذه الأخطاء التى وقع فيها المؤرخون هى نقطة الانطلاق فى تفكير ابن خلدون وتفنيد المرير لأعمالهم وطريقتهم فى كتابة التاريخ من ناحية ، ودافعه الأول إلى وضع قواعد منهجية لقراءة وكتابة التاريخ وتمييز المجال الاجتماعى والظواهر الاجتماعية وعلاقتها الموضوعية بالأحداث التاريخية من ناحية أخرى^(١).

فالمؤرخون بهذا المعنى قد ضمنوا أعمالهم مادة اجتماعية وأثنوبولوجية جاءت مختلطة ومتداخلة مع مادة الحوادث التاريخية البحتة ، التى اعتقلوا أنهم لم يتجاوزوها ، وهذا هو مانود تأكيده والوصول إليه . ومهمة الباحثين الاجتماعيين والأثنوبولوجيين والفولكلوريين هى القيام بعملية اختزال وجمع هذه المادة وتحليلها ووضعها فى إطار منهجى اجتماعى حديث ، إضافة إلى الأعمال الأثنوبولوجية الأكثر وضوحاً واستقلالاً ، والتى تتمثل فى أعمال الرحالة باعتبار أن كل ذلك يشكل البعد والتجذير والتأصيل الضرورى لإقامة نظرية اجتماعية وعلم اجتماعى عربى مستقل .

وما ينطبق على أعمال المؤرخين يسرى إلى حد كبير على الأعمال الأدبية والدينية إلى حد ما ، وأعمال السير والتراجم التى يزخر بها التراث العربى وتزخر بالمادة الاجتماعية والأثنوبولوجية مع فروق نسبية من حيث المادة ونوعها والكيفية التى تشكلت بها داخل هذا الإطار أو ذاك بصورة مباشرة أو غير مباشرة . فالتراث الدينى الأصيل على اختلاف موضوعاته حتى ما اتسم منه

(١) راجع بصفة خاصة د . مصطفى الحشاب : « علم الاجتماع ومدارسه » الجزء الأول

دار المعارف : طبعة ١٩٦٥ م

(م ١٥ - المدخل الاجتماعى)

بطابع التزمت والتعصب يتضمن في مجمله مادة اجتماعية وأنثروبولوجية هامة من ذلك آراء الإمام الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » وغيره من أصحاب المذاهب . كما أن الدكتور عليا شكرى في دراستها عن الثبات والتغير في عادات الموت في مصر قد عرضت لطائفة جيدة من المصادر الدينية المتعلقة بهذا الجانب والتي اعتمدت عليها في جمع شواهد من عادات الموت في مصر (١).

يضاف إلى ذلك بعض الأسس المنهجية التي تبحث في أصول الدين ومصادره وأحكامه ، والتي تتقارب إلى هذا الحد أو ذاك مع الأدوات المنهجية في العلوم الاجتماعية الحديثة ، خصوصاً ما يتصل بالجوانب للفقهية والتشريعية وطرق المعاملات ، التي تعتبر في جانب أساسي منها ترجمة عملية وموضوعية لطبيعة الظروف والأحوال الاجتماعية داخل الدولة الإسلامية ، والتي كانت تتغير من مكان لآخر داخل الدولة ، وفقاً لما تقضى به طبيعة الظروف الاجتماعية والبيئية والمناخية أيضاً ، فقد كان الإمام الشافعى مثلاً يضع تشريعاته في المعاملات وبعض جوانب العبادات وهو في بغداد بشكل مختلف في كثير من الأمور عما يضعه وهو في مصر ، برعى وإدراك كامل . وفقاً لما تقضى به أحوال الناس وظروفهم وبيئتهم الاجتماعية (٢). وينطبق نفس الشيء على الأئمة الآخرين من الإمام مالك وأبي حنيفة وابن حنبل ، حيث تعتبر اختلافاتهم الكثيرة في جزئيات العبادات وأحكام المعاملات والتشريعات صداً حقيقياً لطبيعة اختلاف الظروف الاجتماعية التي كانت تحيط بكل منهم ، وتختلف نسبياً من مكان لآخر ، فقد كان من الصعب جداً على الإمام مالك بن أنس مثلاً وهو يقيم في مكة والمدينة المنورة أن يفتي بأن لمس المرأة الأجنبية يفسد معه الوضوء وتبطل الصلاة ، كما قضى بذلك الإمام الشافعى وهو في مصر أو اليمن مثلاً . والسبب في ذلك أن الإمام مالك كان يعيش في حاضرة الحج الإسلامي (مكة) والتي يأتي إليها مئات الألوف من المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها من رجال ونساء لأداء فريضة الحج ، ويدخلون جميعاً

(١) علم الفولكلور ، مرجع سابق ، ص ٤٣٤ وما بعده .

(٢) التفكير الاجتماعي ، ص ١٩٠ مرجع سابق .

فى زحام مرير حول الحجر الأسود والطواف حول الكعبة ، ومن المستحيل أن لا يلمس بعضهم بعضا رجالا ونساء ، بينما كان الإمام الشافعى يحس أنه فى حل من مثل هذا الموقف ، إضافة إلى الأهمية البالغة لمراعاة طبيعة البيئة والظروف المحيطة والمشاعر النفسية لطبيعة كلا الموقفين . وإن العملية ليست مجرد تحليل وتحريم أو مبطل وغير مبطل بقدر ما أن العملية عملية ظرف اجتماعى معين لا يمكن عمل كل شىء بعيداً عنه^(١) . وبدلاً من أن تؤخذ أوجه الاختلاف الدينى بهذا المعنى العقلى والمفهوم الاجتماعى الذى لم يحاول أحد أن يفهمها من هذا المنطلق ، فقد فهمت من زوايا عكسية تقوم على التفسير الذاتى والشخصى ورفض تحليلها بالوقائع ، إضافة إلى أنها قد اتخذت كمنطلقات للتعصب المذهبى والطائفى لموقف دون آخر ، ويتمسك كل بما يتعصب وينتمى إليه وتخطئه غيره وتكفيره فى كثير من الحالات ، مما كان له عواقبه السيئة ، بالرغم من أنه حتى القرآن نفسه قد جاءت آياته وسوره وأحكامه متفرقة حسب ما كان يقتضيه الحال والموقف بالنسبة لمراحل الدعوة وانتقالها من مكة إلى المدينة ، بل وبمقتضى ما كان يعرض للرسول من شئون الحياة اليومية . وهو أمر يلاحظ من الفرق الواضح بين مضمون السور المكية والمدنية من حيث أن الأولى قد تميزت بالتركيز على دعوة الناس للدخول فى الدين وتبشير من يستجيب بالثواب وتخويف من لا يستجيب بالعقاب يوم القيامة ، أما السور المدنية التى جاءت بعد أن تأكد انتصار الدعوة فقد تميزت بالدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله من ناحية ، ووضع تفاصيل التشريعات والعبادات من ناحية أخرى إستجابة لمقتضى ظروف الحال والمكان والزمان واستعداداً لإقامة نظام الدولة الجديدة . ولو أن علم لاجتماع دينى عربى قد وجد ومدخلاً اجتماعياً عاماً لدراسة التاريخ والتراث العربى برمته قد توفر لاستطاع كل ذلك أن يسهم فى إزالة كل تلك الملاحظات والاختلافات التى انعدمت معها القدرة على التمييز بين الحقيقة والوهم ولاستطعنا بفضل ذلك أيضاً أن نقرأ التاريخ والتراث قراءة علمية وموضوعية

(١) د . أدونيس الثابت والمتحول ، الكتاب الثانى ، دار العودة بيروت الطبعة الأولى ص ١٤٥ ، وما بعدها .

بعيداً عن الزيف والأغراض الجانبية المضللة . فمن شأن إيجاد علم اجتماع ديني عربي ومدخل إجتماعي لدراسة التاريخ والتراث العربي بصفة عامة والتراث الشعبي على وجه الخصوص في ضوء حقائق العصر ومفاهيمه ومنجزاته ومناهجة التقنية والعلمية ، من شأن كل ذلك أن يحقق عدة مكاسب علمية وعملية ويأتى في مقدمتها :

أولاً : تحقيق الرؤية الاجتماعية المفقودة في تفسير التاريخ والتراث الحضارى العربى ككل ، التى سوف تساعد مثل هذه الرؤية إذا ما توفرت على تفسير مختلف الوقائع والأحداث والمراحل التاريخية التى مرت بها الحضارة العربية تفسيراً اجتماعياً وعلمانياً وموضوعياً وجدلياً ، بعيداً عن الوقوع تحت طائلة أى من التأثيرات الجانبية سياسية كانت أم دينية أم ذاتية أو غيرها ، ويتغير بذلك أسلوب السرد التاريخي الجاف للأحداث والنمط الدينى المتعصب في بعض جوانبه من ناحية والمتحجر من ناحية أخرى ، بل سنقوى بفضل ذلك على اكتشاف الحلقات المفقودة والجوانب المنسية التى أسدلت حولها سحب كثيفة من الظلام وأقيمت دونها الأسوار المنيعة المميّنة حتى لا ترى النور بقصد وبغير قصد ، لأن من خواص الرؤية الاجتماعية أو على الأصح المنهج الإجماعى العلمى في تفسير ودراسة التاريخ عدم الأخذ بتفسير ظاهرة دون أخرى والنظر إلى حدث معين من زاوية أحادية الجانب ، بل لابد وأن تفسر مجمل الأحداث والوقائع وفقاً لمنهج النظرية الاجتماعية الحديثة في إطار تكاملي جدلي مترابط يفسر بعضها بعضاً ويستخلص بعضها من البعض الآخر بالضرورة .

ومن شأن تحقيق الرؤية والمنهج الإجماعى في إعادة قراءة وتفسير هذه الأحداث ووضعها في سياق تاريخي جدلي واجتماعي مترابط أن تحل كثيراً من القضايا الغامضة وتكشف أو توصل كل الحلقات المفرغة في هذا التاريخ بل الخروج به مرة واحدة عن دائرة الاجتهادات الذاتية والمذهبية المتعصبة إلى دائرة العلم والنظرية الاجتماعية العلمية وقوانينها التاريخية المرتكزة على قوانين التطور الاجتماعى والحياة العلمى ، وقد أشار الدكتور أحمد الخشاب في معرض حديثه عن أهمية علم الاجتماع الإسلامى إلى أهمية الأهداف والنتائج التى ستترتب

على إتباع مثل هذا المنهج في معالجة التراث ، حيث أبرز أهمية المعطيات التي قدمها الفكر الإسلامى وإعادة تقييم الموروثات التي خلقتها الثقافة العربية الإسلامية وتقييم المادة العلمية التي انطوت عليها المصادر الإسلامية في ضوء النظريات الاجتماعية المعاصرة وضرورة تقييم موقف القيم الروحية والاجتهادات الفكرية إزاء المشكلات الاجتماعية الحالية ، بقصد الافادة من هذه المواقف في الاستجابة لحركات الاصلاح وتنمية وحده المشاركة الجماهيرية لإزاء العمليات التنموية .

ثانياً : تحقيق الصلة وإنهاء القطيعة بين الماضى الذى بنيت كل مفاهيمه ودونت كل وقائعه وأحداثه من خلال أبعاد دينية وأدبية وسياسية ولغوية فقط مشوبة بنزعات التحيز والاجتهادات الذاتية « وفي معزل تام عن الرؤية الاجتماعية والتاريخية الجدلية والموضوعية » ، وبين هذا الحاضر والمستقبل الذى يقوم أساسا على مبدأ التكامل والرؤية العلمية بالدرجة الأولى والمستندة إلى قوانين الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، حينما تزال كل الأحداث والوقائع تؤخذ وينظر إليها حتى الآن من خلال تلك الأبعاد والمفاهيم الكلاسيكية القاصرة وحدها ، لأن مثل هذه القضية قد خلفتها ظروف تاريخية معينة وأمد في عمرها كابوس التخلف والأنحطاط الذى وقعت فيه الأمة العربية ، وثبتته وكرسه الاستعمار فى العصور الحديثه خدمة لمصالحه القومية والاقتصادية (١) :

فهذه القطيعة أو الحلقة المفرغة لا يمكن أن تنهيا الحماسات السياسية والعواطف القومية وحدها التى تسود اليوم شعوب العالم الثالث وهى الشعوب التى تعرض تاريخها ووجودها القومى نفسه للعبث والتشكيك والتزويق من قبل المستعمرين الأوربيين (والشعوب العربية جزء منها) فى ظل مراحل التحرر الوطنى والسياسى وإنحسار الوجود الاستعمارى المباشر ؛ بقدر ما ستنهيا التغيرات الاجتماعية الجذرية وتحقيق رؤية علمية ناضجة للتاريخ الاجتماعى والحضارى فى هذه الشعوب كبعد جوهرى للرؤية السياسية والوطنية والقومية السائدة الآن والمتجهة نحو المستقبل .

(١) راجع د. محمد الجوهري وآخرون : دراسات فى التنمية الاجتماعية طبعة ١٩٧٤ ،

دار المعارف بمصر ص ١٢٦ و ١٧٢ .

كما أن تحقيق مثل هذه المهمة من شأنه توفير القدرة الكافية على تطهير وتنقية هذا المذخور الحضارى والثقافى الضخم من الخرافات والشوائب والمفاهيم العقيمة التى لحقت بتاريخ وحياة المجتمعات العربية وتحكمت فى جانب من سلوكها وتفكيرها والدفع به فى إتجاه سالب ومعوق لحركتها نحو التقدم والنمو وتميز النافع منها والأقل نفعاً بل والأكثر خطورة وفساداً فى ضوء منهج تاريخى علمى وعقلى متكامل لا فى ضوء مسلمات غيبية ومعتقدات خرافية متحجرة أو فى ضوء مصالح شخصية وطبقية متخلفة ومفاهيم سياسية وإجتماعية متعصبة ، وهو الأمر الذى تدعو إليه حديثاً بعض المناهج والنظريات الإجتماعية الجديدة فى عملية تفسير الأحداث والوقائع ، كنظرية « إعادة البناء التاريخى للأحداث » والنظرية البنائية فى تفسير الحكايات الشعبية على النمط « الجشطلتى » فى علم النفس ، وقد أزدھر هذا الاتجاه منذ الخمسينات والستينات من هذا القرن ومن أبرز رواده V. Prpp الروسى وتلميذه Aalon dnndes (١) .

كما أن الرؤية العلمية للتاريخ والتراث وإعادة بناء أحداثه وتفسيرها على أسس علمية وإيجاد الصلة الطبيعية بينهما وبين ما هو قائم فى الوقت الحاضر وإنهاء القطيعة بينهما ليست عملية مقصودة لذاتها فحسب ولكنها لابد وأن ترتبط من جانب أولى بعملية توظيف كل الجوانب المشرقة والمضيئة فى هذا المذخور التراثى والتاريخى الواسع فى خدمة أهداف التقدم الإجتماعى والاقتصادى المعاصر ومحاربة التخلف القائم بمختلف صورته وأشكاله بأعتبار أن تلك الجوانب الإيجابية تمثل التأصيل القوى فى الماضى للإنطلاق المعاصر نحو المستقبل ؛ ولأن البحث والكشف عن تلك الجوانب ووضعها فى مكانها الصحيح فى عملية النضال ضد كل أشكال التخلف سيشكل أقوى عوامل النصر وأكثرها حسماً وعوناً فى هذا السبيل ، وذلك بدلا من تركها إما إهمالا أو جهلا فى يد الجانب الآخر المعادى للتقدم يشوهها ويستخدمها مع

(١) د . دورسون ، نظريات الفولكلور المعاصر ، ترجمة د . محمد الجوهري ود . حسن الشامى ، دار الكتب الجامعية القاهرة ١٩٧٢ م ص ٦٢ و ١٢٧ و ١٣٣ .

غيرها من الجوانب السالبة في هذا التراث التي يعمل على تكريسها في خدمة مصالحه المرتبطة باستمرار حالة التخلف القائم ، والتي كانت وما تزال تشكل في موقفه وصراعه مع الجديد أقوى عناصر القوة وعامل إختلال الموازين باستمرار لصالح هذا الطرف السلفي والرجعي المعادى للتقدم (١) .

ثالثاً : أما الأهمية الثالثة والأخيرة في تقديرنا التي سوف تترتب على تحقيق مثل هذا المدخل فهي الوصول إلى إقامة وبناء أسس نظرية إجتماعية عربية متكاملة وإرساء أسس علم إجتماع عربي مستقل وواضح المعالم ؛ وتلك مهمة تاريخية ملحة ولا مناص منها قرب الوقت أم بعد ، ومن هنا تتأكد حقيقة أن الأمر لا يتوقف في هذا الشأن على البحث في الماضي نفسه أو لذاته بل لابد وأن تبنى أسس وأهداف مثل هذا العمل في صميم الحاضر وفي ضوء مفاهيمه ومناهجه وقوانينه الاجتماعية والتاريخية من أجل المستقبل ، ذلك أن كثير من المحاولات والجهود القائمة في مجال علم الاجتماع والعلوم الإنسانية ككل في بلادنا العربية وفي البلدان النامية والمتخلفة بشكل عام ينطوي معظمها على مجرد الإمتداد والتقمص لما يحدث في الخارج أو ما يأتي من أوروبا على الأصح دون الرجوع كثيراً إلى الإمتداد والبعث التاريخي الحضاري والقومي وتحديد علاقته ومكانته في هذه الجهود كبعد وتأسيس ضروري لأي عمل علمي أو أي مهمة جادة في هذا الصدد ، لأنه بغير مثل هذا البعد ستظل مثل هذه المحاولات رغم جدتها وأهميتها ليست أكثر من مجرد تراجم وشروح في حالة أعتراب ومقضى عايتها بالتعثر المستمر ، لأن عملية النقل والتعرف على أحدث ما وصلت إليه مسارات الفكر والتقدم البشري في هذا المجال والأكتفاء بشرحها ومناقشتها وتعيم نتائجها بطريقة فجأة ومتعسفة هو من الأمور الخطيرة إذا ما إستمرت كثيراً .

والموقف الصحيح والأقرب إلى طبيعة الأمور وجعل العلم في خدمة التقدم في بلادنا هو أن ينظر إلى مثل هذه الانجازات والجهود العلمية التي يصنعها الغير ويزودونها بها مادية كانت أو معنوية باعتبارها بعداً وإمتداداً ضرورياً

(١) راجع تفاصيل أكثر في هذا الشأن في كتابنا : التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية ، دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني ، مركز الدراسات اليمنية ١٩٨٠ الفصل الثامن بصفة عامة ، وبالذات ص ٣٠٩ إلى ٣١٦ .

لا غنى عنه بالنسبة لنا فى إتحاه المستقبل ، ولكن ليس لذاته بل من أجل تحقيق ما يجب أن نفعله نحن ونعبر به أيضا عن وجودنا وتاريخنا بكل ما فيه من خصوصيات مؤكدة فى مجال العلوم الإنسانية بالذات ، وذلك حتى لا نضل نهث ونبذل الجهد والعرق فى محاولة نسيان أنفسنا والبحث عن هوية لا وجود لها من خلال ما يقدمه لنا الآخرون .

لماذا يتذكر الناس تاريخهم ؟

صحيح لماذا إذن يتذكر الناس ماضيهم وتاريخهم ويهتمون به هكذا ونحن جزء منهم وما الفائدة من ذلك ؟؟ . إن ماضى الأمم والشعوب لا يقدم خبرا ولا عسلا ولا مجداً على أطباق من ذهب وأروقة من المرجان ، ولكنه يقدم لها عظمات ودروس لا مثيل لها ولا يقوى أحد على تقديمها غيره ، تفيد منه أعظم الفائدة فى بناء حاضرها وتحديد ملامح مستقبلها ، إذا ما أحسنت فهم هذه الدروس فهما جيداً ، بغض النظر عن كون هذا الماضى حسناً أم سيئاً ، لا فرق أبداً ، فالشعوب الأوربية المعاصرة مثلاً ، والى لم يكن ماضيها القريب والبعيد أكثر من مجاميع من القبائل الجرمانية البدائية شبه المتوحشة والى لا تعرف نظاماً ولادينا ولا تحضراً إنسانياً مما يزرع به الشرق من المعانى الحضارية والإنسانية الضاربة فى القدم ، إلا أنهم يتذكرونه جيداً ويجسدون صورته أمام إحيائهم الحاضرة لكى يستمدوا من خلال ذلك فخر نجاحهم وما حققوه من إنتقال حضارى رهيب فى جوانب حياتهم المختلفة من ناحية ، وكى يتعلموا منه الحرص على عدم التفريط بكل ما وصلوا إليه من إنجاز وتقدم ، وأن أى إهمال أو تفريط معناه السقوط والانحدار من جديد نحو تلك الحياة البدائية الشبيهة بحياة الحيوانات .

والأمريكيون لا يذكرون لهم ماضياً قبل أكثر من ثلاثمائة سنة على الأكثر لأنهم لا يملكون ماضياً أكثر من كونهم قد وصلوا العالم الجديد من أوربا وغيرها فى شكل عصابات ومجاميع غازية محاربة بأحدث الوسائل التقنية ، وأبادوا الشعوب الأصلية والبسيطة فى هذا العالم وأقاموا الحياة المزدهرة المنحصرة على أنقاضها ، مستنتجين من ذلك بأن مبدأ القوة والعنف والاستعمار

وسيادة الأقوى بجانب العلم والتكنولوجيا المتفوقة وكل مفاهيم الحياة المتطورة هو الذى ضمن تفوقهم داخل وطنهم الجديد وخارج هذا الوطن إلى حد ما ، وهو ضمان إستمرار تفوقهم وتقدمهم فى المستقبل .

والصينيون واليابانيون يتذكرون اليوم تاريخهم الحضارى الضارب فى عمق الزمن ليتعظوا بجوانبة السلبية ويزيلوها من حياتهم الجديدة ويفيدوا من أفضل ما فى جوانبة المشرقة من أجل بناء هذه الحياة الحاضرة والمستقبلية أيضا ويصنعون من حاضرمهم القائم ومستقبلهم المقبل الامتداد الأفضل والأكثر تقدما وأرتقاء بحياة الإنسان وحرية وتفكيره ورفاهيته بالنسبة لذلك الماضى العريق حيث ترقد أعظم حضارات الشرق وأكثرها تشعبا وتعقيداً .

ومثل هذه العلاقة التى تربط مثل هذه الشعوب والمجتمعات بماضيها هى أفضل ما يمكن أن تكون عليه بالنسبة لعلاقة الماضى بالحاضر وأفضل ما يمكن أن يستفيده أى شعب من تاريخه من دروس بالنسبة للحاضرة ومستقبله ، بغض النظر عن نتيجة هذه العلاقة وما قد تسفر عنه أحيانا من نتائج سيئة بالنسبة لشعوب ومجتمعات أخرى ، كما هو الحال بالنسبة للشعوب الأوربية وأمريكا الرأسمالية ومآمارسة من عمليات الاستعمار والاستغلال والقهر ضد كثير من الشعوب من أجل مصلحتها ، وهناك من الشعوب والمجتمعات من لا يتذكر ماضية إلا من أجل تطبيق أسوأ ما فيه من ظلم واستغلال وخرافة ومسوخ لحياة الإنسان وتضليله ، كما يفعل المجتمع الهندى ، أو من أجل تشويه جوانبه الحسنة والعيش على إجترار ذكراه المشوهة كما تفعل معظم الشعوب النامية والكثير من المجتمعات المتخلفة .

واقعنا القائم بين ذكريات الماضى وطموح المستقبل

لكن لماذا نسترجع نحن الآن فى الوطن العربى وفى اليمن بالذات كل تلك الذكريات ونبحث عنها بنهم فى عمق التاريخ ؟ هل من أجل أن نستعيض بذكرها والحديث عنها عما ال إليه واقعنا من الانحطاط والتقهقر ، وما يبرز فوق كاهله

من أعباء التخلف والمهانة، ويكون لنا في ذلك عزاء وسلوى نغالط بها نفوسنا وواقعنا أو نخدعها على الاصح ؟ أم من أجل أن نرد بها على كل من يسألنا عن حاضرننا أو يعيرنا بما لحق به ؟ ونظل نجتز هذا الماضي الميت بنفوس مريضة وعقول متحجرة خاملة وأبأدى كسولة ملوثة بالخيانة والعار والمهانة حتى تصبح حياتنا بعد حين جزء من ذلك الماضي الميت ، بل وأسوأ أجزائة ميةة ومدعاة للخزى والعار والانحطاط ؟ . . .

إن الماضي هو ملك لأهله حسنا كان أم سيئا ، وإذا كان الماضي الحضارى للمجتمع اليمنى مثلاً قد إستطاع أهله أن يسجلوه فى صورة إنسانية مشرقة كذلك. فإن تلك الصورة هى ملك لمن صنعها ، ولا يجوز لنا فى حاضرننا هذا أن نعيش على إجترارها والتطفل عليها لكى نغالط بها نفوسنا ونخفى تحت ظلها فشلنا وما آلت إليه حياتنا من التقهقر والتخلف ، صحيح أننا حقيقة نشكل الامتداد التاريخى والحضارى لتلك الصورة والذى لاخيار لنا فيه ولايستطيع أن ينكره علينا أحد ، لكنه الامتداد السيئ للأسف الشديد ، والامتداد الذى أهمل وضعيع ونسى ، بل وأفسد وخرب وفرط ولم يضيف جديد حتى الآن .

ثلاثة دروس هامة من الماضى من أجل المستقبل

وإذا كان من المفروض علينا أن نعيد تقييم رؤيتنا وعلاقتنا بما ضينها وتاريخنا القريب والبعيد ، ونستمد منه الدرس والموعظة الحسنة ومقاييس الخطأ من الصواب لإسوة بغيرنا من الشعوب الناهضة من أجل بناء الحاضر والمستقبل ، بدلا من الاكتفاء بمجرد إحتراره المريض والمشوه ، فإنه لا بد من البحث عن إجابة جادة عن السؤال التالى :

ما هى الدروس التى يمكننا أن نستفيدها من ضرورة إسترجاع الماضى بكل صورة المضيئة والمعتمة ؟ . . . من أجل بناء حاضرننا الأكثر ظلمة وتخلف فى عصر تتقدم فيه البشرية كلها بخطا سريعة ؟؟ . . .

١ - والرد هو أن أول درس يمكن أن نفيد منه فى هذا الصدد هو أن كل ما يسود اليوم واقعنا من قضايا ومفاهيم متخلفة من تكريس وصنع

التخلف ليست أصيلة في وجودنا وتاريخنا . وإنما هي أفراز ونتيجة لمراحل الانحطاط والسقوط التي تعرض لها مجتمعا في العصور اللاحقة . كما أن كل ما من شأنه تمكيننا من تجاوز هذا التخلف ومحاربه من مفاهيم ومنطلقات عقلية وإيجابية وتغيرات وتحولات إقتصادية واجتماعية جذرية نحو الافضل ، هي من الأمور الأصيلة في تكويننا ووجودنا الحضارى والتاريخى ، وليست دخيلة أو غريبة عنا كما يظن البعض ممن طغت على عقولهم المتحجرة مفاهيم التخلف والركود ، إنطلاقا من الحفاظ على وجودهم ومصالحهم الضيقة المرتبطة بهذا التخلف نفسه .

فإذا ما وجد من ينادى ويعمل من أجل محاربة التخلف وبناء مجتمع إشراكى تقدمى متحضر حديث من خلال العمل على تأكيد المصلحة العامة والحق العام والمشاركة الجماعية والقضاء على الاستغلال الطبقي والانانية والفرقة الاجتماعية وتأكيد حق العيش والاحترام لمن يعمل وينتج لا لمن يرتزق ويتطفل على حياة الآخرين ، في ضوء منطق العقل والعلم بعيداً عن الخرافة والشعوذة والتزمت وغير ذلك من المفاهيم المتخلفة ، فلننا يجب أن نتأكد من أن مثل هذه الاصول والتي إلى جانب كونها هي منطلق العصر وأداة تحرر الإنسان والقضاء على تخلفه ، فهي بالنسبة لنا أيضا أصل من أصولنا الحضارية والروحية والاجتماعية وليست غريبة عنا .

وأنا يجب أن نقول لكل أولئك الذين تتعالى أصواتهم بصراحت الخوف والقلق والمهلع من كل ذلك ووصفه بالكفر والحاد أو البدعة والرديلة .. الخ نتيجة لعدم قدرتهم على معرفة وفهم الماضى وأستيعاب الحاضر وهوربهم من المستقبل ، نقول لهم إن مثل هذه الأمور هي أصيلة في واقعنا وتاريخنا وديننا وليست مستوردة أو غريبة عنا كما تظنون ، وأنها تشكل المدخل والاداة الحقيقية لبناء دولة يمنية قوية موحدة ومجتمع حر متحضر ومزدهر ومتقدم ، يسوده العدل والرخاء والمساواة والفضيلة والتعاون ، وأن العمل على تحقيقها سيكون هو الاعلان الحقيقى بزوال التخلف بمختلف أشكاله ، لا بزوال القيم والفضائل وخروج الأرض على طاعة السماء ، كما يعتقدون إما جهلا ،

ولما مكرا وحرصا على مصالحهم الطبقية والطفيلية المرتبطة بهذا التخلف نفسه على الأصح .

ولذلك فإن العمل اليوم من أجل بناء دولة يمنية إشتراكية قوية موحدة تقوم على أساس نكران الذات وتأكيد الحق العام والمصالح العامة والديمقراطية الشعبية الحققة ، والعمل الجماعى التعاونى فى صنع الحياة وإستثمار خيراتها ومحاربة كل أشكال التخلف والظلم والاستغلال والتفرقة ، وكل أشكال الشعوذة والخرافة والخروج على منطق العقل والواقع ، بالإضافة إلى أهمية الاعتماد على النفس وتأكيد حرية شعبنا وكبرياءه الوطنى والقومى ، فإن العمل اليوم على تحقيق كل ذلك بالنسبة للمجتمع اليمنى والعربى عامة هو عودة إلى الأصل بقدرما هو إنطلاقة نحو المستقبل الأفضل والقضاء على الواقع المتخلف ، وهذا هو الدرس الأول الذى يجب أن نتعلمه من قراءة تاريخنا وتراثنا الحضارى العريق .

٢ - أما الدرس الثانى الذى يمكننا الاستفادة به من إسترجاع وقرأة تاريخنا وتراثنا الحضارى بعناية ، فهو أن كل تلك المفاهيم والمنطلقات الديمقراطية والجماعية الحققة التى أرتكز عليها بناء الحضارة اليمنية القديمة ليست اليوم مجرد تاريخ بالنسبة للمجتمع اليمنى وحده ، ولكنها تشكل منطق العصر وأداة المرحلة التى تناضل من خلالها كل الشعوب والمجتمعات النامية والمتخلفة من أجل تحقيق حريتها وتقدمها وتحررها من رق التبعية والاستعمار والاستغلال الذى فرض على هذه الشعوب من قبل الدول الاستعمارية والأمبريالية العالمية المعادية لتقدم الشعوب وحريتها ، وهى نفس المفاهيم والمنطلقات أيضا التى أعتمدت عليها كل الشعوب والمجتمعات الإشتراكية والمحبة للسلام فى بناء تقدمها الحديث عن طريق الاعتماد على النفس وعلى أسس من العدالة الاجتماعية والمساواة وتكافؤ الفرص ومنع إستغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، وكذلك تمكنت بفضل مثل تلك المفاهيم والمنطلقات الإنسانية من القضاء على ما كانت تعانيه من التخلف والبؤس والتبعية والاستعمار والاستغلال الإقتصادى والذى تعانى منه اليوم كل الشعوب النامية والمتخلفة ونحن جزء منها ، من قبل الدول الأمبريالية والرأسمالية التى تحكم اليوم العالم بواسطة إحتكاراتها الإقتصادية وممرآراتها السياسية والعسكرية بصوة مباشرة

وغير مباشرة . ونحن لاندعو إلى أن نكون صورة طبق الأصل من هذا المعسكر أو ذلك لأنه إلى جانب كون هذه الفكرة فكرة خاطئة من أساسها فإن لكل مجتمع وأمة من الأمم خصوصياتها وأوضاعها الإجتماعية والاقتصادية والتاريخية الخاصة ، ولها طريقها في معالجة قضاياها وصولاً إلى تحقيق الأهداف الإنسانية العادلة في التقدم والازدهار والتحرر الشامل ، والتي لا تختلف من مجتمع لآخر ، كما أن الفكر الإنساني المفيد للإنسان وتقدمه لا يتجزأ سواء كان ماضياً أو حاضراً ، وسواء كان من صنع شعب أو أمة أو عدة شعوب أو أمم ، فمن حق كل شعب متحضر أن يستفيد من تجارب الشعوب الأخرى ويأخذ منها ما يفيد ويتناسب مع ظروفه وبناء حضارة ومستقبله الجديد ، ونحن في هذه الحالة ومن خلال بعث تلك الصورة المشرفة لتاريخنا وتراثنا وعاداتنا وتقاليدها وأعرافنا الحسنة ، والاستفادة منها في مواجهة ظروف التخلف في بلادنا نستطيع أن نعطي الآخرين ما يفيد حاضريهم بقدر ما سنأخذ منهم . ولذلك فإنه لا بد وأن نقننه إلى كل الدعايات والاشاعات المفرضة التي تروجها القوى الاستعمارية والأمبريالية العالمية وعلامتها الرجعيين والتي تعمل على تشويه كل المبادئ والأفكار الإنسانية النافعة حرصاً على مصالحهم المرتبطة باستمرار تخلفنا .

٣ - إن شعبنا البني بالرغم من كل المحن وفترات الركود وبرغم كل المحاولات المعادية التي تعرض لها عبر تاريخه والتي حاولت أن تفصل بين حاضره وماضيه وتلبسه ثوباً غير ثوبه ، وتنال من حريته وكرامته وكبريائه قد أكد قدرته الفائقة لا على مجرد الاحتفاظ بكل تلك المعاني الإنسانية والحضارية المشرفة في أعماق نفسه ووجدانه فقط ، ولكنه اليوم يدلل عليها من خلال سلوكه وممارساته العملية ، ومن خلال كل الفرص التي تتاح له لمواجهة مشاكل تخلفه المزمن والعمل على تجاوز هذا التخلف .

ولقد كانت ولا تزال ثورة شعبنا في الشطر الجنوبي من الوطن ضد الاستعمار وعملائه وضد كل أوضاعه المتخلفة وأقدامه على أنجاز وتنفيذ أشجع تجربة إشراكية علمية معاصرة في البلاد النامية بعد كوبا والفيتنام بنجاح

ساحق إنطلاقاً من مجموع خصوصياته الذاتية والموضوعية ، ومكونات وجوده الثقافية والاجتماعية والتاريخية المتميزة ، يقدم أعظم دليل مادي وعمل على حقيقة وصدق تلك الابعاد التاريخية والحضارية الناضجة والتي فجر شعبنا من خلالها كل تلك المعاني والأصول الديمقراطية والتعاونية وحب العمل الجماعي ، والإيمان المطلق بالمصلحة العامة والحق العام والعمل الجاد ، والاعتماد على النفس وأن في مقدور هذا الشعب الذي صنع ماضيه أن يصنع حاضره ومستقبله ، إذا ما توفرت له الظروف المناسبة والملائمة على المستوى السياسي والاجتماعي المناسب .

كما أن ما تشهده ساحة الوطن المبني ككل في الأونة الأخيرة من تطورات سياسية واجتماعية وشعبية بعيدة الدلالة على المستوى السياسي والاجتماعي وصولاً إلى تحقيق يمن حر وديمقراطي وتقدمي موحد يعطى الدليل الآخر الأكثر أهمية وحيوية في حاضر ومستقبل هذا الشعب ، والذي يتوجب على كل المناضلين التقدميين المخلصين أن يقدموا التضحية والعطاء غير المحدود في قيادة جماهير الشعب في طموحاتها ونضالها في سبيل تحقيق كل ذلك في المستقبل القريب ، وصولاً إلى تحقيق طموحات ونضالات جماهير أمتنا العربية كلها في الوحدة والتحرر الاقتصادي والاجتماعي الذي تعارضه القوى الاستعمارية والامبريالية العالمية في الخارج والطبقات الاقطاعية والبرجوازية الطفيلية المتحالفة معها في الداخل .

أهم مراجع البحث حسب ترتيب الإشارة إليها في الهوامش

- د. محمد عمارة : الخلافة ونشأة الأحزاب السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٧ .
- حمود العودی : التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية ، دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمن ، مركز الدراسات اليمنية صغاء ، الطبعة الأولى ١٩٨٠ :
- بندلي جوزي : تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ، دار الروائع بيروت ، (غير محدد تاريخ النشر أو المترجم وهو كتاب حديث عموما) :
- شوقي عبد الحكيم : أساطير وفولكلور العالم العربي ، الجزء الأول ، طبع مؤسسه روز اليوسف نوفمبر ١٩٧٤ .
- د. محمد الجوهري : علم الاجتماع وقضايا التنمية في العالم الثالث ، دار المعارف المصرية الطبعة الأولى ١٩٧٨ .
- محمد أنعم غالب : نظام الحكم والتخلف الاقتصادي في اليمن ، طبعة القاهرة ١٩٦٢ .
- د نزار عبد اللطيف الحديثي : أهل اليمن في صدر الإسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، (الكتاب حديث ولكنه لم يحدد تاريخ نشره)
- سيرج سونيرون : كهان مصر القديمة ، ترجمة زينب الكردي ، مراجعة للدكتور أحمد بدوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ :

- د. نيكلوسى وآخرون : التاريخ العربى القديم ، ترجمة وتحقيق الدكتور حسين هيكل .
- د. جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام .
- حمود العودى : المثقفون فى البلاد النامية ، بحث فى الفئات والعلاقات الطبقيّة ، مع دراسة إجتماعية تطبيقيه عن المجتمع اليمنى ، عالم الكتب القاهرة ، ١٩٨٠ .
- رود ولفو إستافنهاغن : الطبقات الاجتماعية فى المجتمعات الزراعيه نقله إلى العربية ناجى أبو خليل ، دار الحقيقة للطباعة والنشر بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٧ .
- د. يوسف محمد عبدالله : مقال بعنوان عما تتحدث النقوش اليمنية ، فى مجلة اليمن الجديد ، عدد مارس ١٩٨٠ وما بعده (عدة حلقات) .
- محمد يحيى الحداد : تاريخ اليمن السياسى ، عالم الكتب القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٧٦ .
- سلطان أحمد عمر : نظرة فى تطور المجتمع اليمنى ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٠ .
- د. ديتلف نلسون وآخرون : التاريخ العربى القديم .
- حمود العودى : المنظور العلمى للثقافة ، دراسة خاصة عن المجتمع اليمنى ، طبعة القاهرة ١٩٧٣ .
- د. جميل صليبا : تاريخ الفلسفة العربية ، دار الكتاب اللبنانى بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٠ .
- رينيه ديمون ومارسيل مزوايه : التجارب الاشتراكية أمام مشاكل التنمية ، نقله إلى العربية رشيد حسن وحسن قبيسى دار الحقيقة بيروت :

- مطهر لإرياني : في تاريخ اليمن ، شرح وتعليق على نقوش لم تنشر ، مركز الدراسات اليمنية صفاء ، ١٩٧٣ .
 - محمد علي الاكوع : اليمن الحضراء مهد الحضارات ، مطبعة السعادة القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧١ .
 - إفلاطون : جمهورية إفلاطون ، نقله إلى العربية حنا خباز ، دار القلم بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٩ .
 - د . عبد السلام نور الدين : المتنبي وسقوط الحضارة ، مقال في مجلة اليمن الجديد عدد فبراير ١٩٧٨ .
 - محمود كامل المحامى : اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ .
 - د . فاروق عثمان إباضة : مقال في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية عدد أكتوبر ١٩٧٨ .
 - محمد علي الاكوع : الوثائق السياسية اليمنية من قبل الإسلام إلى ٣٣٢ هجرية ، دار الحرية للطباعة ببغداد الطبعة الأولى ١٩٧٦ .
 - عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي المتوفى عام ٩٤٤ هجرية : قرّة العيون باخبار اليمن الميمون ، تحقيق القاضي محمد بن علي الاكوع الحوالى ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٧٧ .
 - زيد الوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، الشركة المتحدة للتوزيع بيروت ١٩٧١ .
 - عبد الله بن أحمد الثور : ثورة اليمن ، طبعة القاهرة ١٩٦٨ .
 - أحمد عباس صالح : اليمن واليسار في الإسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ١٩٧٢ .
- (م - ١٦ المدخل الاجتماعى)

- د . ادوينيس : الثابت والمتحول ، بحث في الأبداع والاتباع
عند العرب ، الجزء الثاني الطبعة الأولى دار العودة
بيروت ، ١٩٧٧ .
- د . محمود إسماعيل : الحركات السرية في الإسلام ، مؤسسه روز اليوسف
القاهرة مايو ١٩٧٣ .
- د . أحمد الحشاش : التفكير الاجتماعي ، دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية
دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .
- د . محمود إسماعيل : الحوار في المغرب الإسلامي ، دار العودة
بيروت ، ١٩٧٦ .
- د . ادوينيس : الثابت والمتحول ، بحث في لإبداع والاتباع عند
العرب ، الجزء الأول ، دار العودة بيروت ١٩٧٤ .
- د . محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ .
- الحمادى : القرامطة (وهو من فقهاء اليمن في القرن الخامس
الهجرى وهو من أهل السنة والحديث تحدث بتعصب
عن القرامطة والأسماعيلية في اليمن والبحرين ،
والكتاب في مكتبة دار الكتب بصغاء .
- د . محمود قاسم : محي الدين بن عربي ، مكتبة القاهرة الحديثه ،
الطبعة الأولى ١٩٧٢ .
- محمود العودى : الانجاء الواقعى في نظرية المعرفة ، مقال في مجلة
الغد اليمنية ، عدد أغسطس ١٩٧٧ .
- د . حسن الساعانى : علم الاجتماع الخلدونى ، دار المعارف بمصر ،
الطبعة الثانية ١٩٧٥ .
- د . محمد الجوهري : علم الفولكلور ، دراسة في الانثروبولوجيا الثقافيه ،
دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٧٧ .

- د . مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه ، الجزء الأول ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ .
 - د . على سعد : ابن طفيل فى ميزان العلم ، مقال فى مجلة المعارف اللبنانىة عدد كانون ثانى ١٩٦٢ .
 - عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، طبعة دار الشعب الحديثه .
 - د . محمد الجوهري وآخرون : دراسات فى التنمية الاجتماعيه ، دار المعارف بمصر طبعة ١٩٧٤ .
 - د . دور سون : نظريات الفولكلور المعاصر ، ترجمة الدكتور محمد الجوهري والدكتور حسن الشامى ، دار الكتب الجامعية القاهرة ١٩٧٣ .
-